

إيران، سوريا، فلسطين مركز الأحداث والتحوّلات الشرق الأوسط 2025: خارطة جيوسياسية جديدة

كان العام 2024 عاما استثنائيا بأحداثه، متخما بالمفاجآت والاحداث والاغتيالات والتحوّلات التي تجاوزت كل التوقعات وخلطت أوراق الشرق الاوسط، وبدلت في المشهد الاقليمي. هذا المسار يستمر في العام الجديد 2025 بوتيرة متسارعة واكثر وضوحا، وفي ثلاث ساحات رئيسية ستكون محور الاحداث ونقطة الارتكاز في خارطة الجيوسياسية التي تتضح معالمها تباعا في المنطقة

البداية من فلسطين التي منها، وتحديدًا من غزة، انطلقت شرارة الحرب والتحوّلات. ولا مبالغة في القول ان عملية "طوفان الاقصى" وما تلاها من حرب مدمرة ومفتوحة، شكلت نقطة التحول الثانية من حيث الاهمية والحجم في مسار الشرق الاوسط ومصيره. اما نقطة التحول الاولى، فكانت هجمات 11 سبتمبر 2001 وما تلاها من اجتياح اميركي للعراق عام 2003.

صحيح ان حركة حماس اعادت الاعتبار والاضواء الى القضية الفلسطينية التي حجبها الثورات والحروب العربية الداخلية من جهة، والانقسامات والخلافات الفلسطينية من جهة ثانية، الا ان الحرب التي خاضتها كانت حربا غير متكافئة وكبدتها خسائر واثمانا باهظة، ودمرت غزة بشرا وحجرا. واقع جديد لا مكان فيه للسلاح الفلسطيني المقاوم، لا في غزة

ولا في الضفة الغربية. ستكون غزة من دون حكم حماس، وستصبح الدولة الفلسطينية الموعودة في اطار حل الدولتين من دون ارض ومجرد مشروع افتراضي. وستجد السلطة الفلسطينية نفسها امام تحديات كثيرة وعاجزة عن تحمل مسؤولية الوضع الجديد، خصوصا في ظل حكومة اسرائيلية متطرفة تمعن في تقويض السلطة الفلسطينية، واعادة ضم غزة والضفة ووضعها تحت السيطرة والسيادة الاسرائيلية.

مشروع التهجير والتفريغ الذي بدأته اسرائيل في غزة ستكمله في الضفة، حيث تواصل اسرائيل تنفيذ مشروعها الاستيطاني الاستراتيجي تحت ظلال الحرب على قطاع غزة وعلى مرأى من العالم، آملة في الوصول الى المرحلة التي يكون فيها ضم الضفة قد انجز عمليا، وفي حاجة الى الاعلان عنه



فقط. علما ان الحكومة اليمينية المتطرفة في اسرائيل وضعت خطة تسمى "خطة الحسم" موقعة من وزير المال سموتريتش وتضم اربع مراحل، المرحلة الاولى منها هي احداث فوضى في الضفة الغربية، ثم في مرحلة ثانية اسقاط السلطة الفلسطينية، ثم في مرحلة ثالثة تصفية الحركة القومية الفلسطينية، ثم المرحلة الرابعة ترحيل الفلسطينيين.

الضفة الغربية هي الهدف الثاني والاهم لإسرائيل بعد غزة، مع اطلاق اسرائيل اوسع حملة عسكرية بهدف تغيير الواقع في الضفة وتنطوي خطة بنيامين نتنياهو حول مستقبل غزة على تصفية "الاورنوا"، وابقاء قطاع غزة تحت السيطرة الاسرائيلية المباشرة او غير المباشرة، وهي تتم على مراحل: اولها، اقامة حكم عسكري اسرائيلي كامل في غزة يدير نقل المساعدات الانسانية ويتولى المسؤولية عن العناية بالسكان المدنيين الغزيين في المرحلة الانتقالية. في المرحلة الثانية، التي ستجري بالتوازي، سيتم تشكيل ائتلاف دولي يضم دولا عربية، وسيكون جزءا من اتفاق التطبيع الاقليمي الذي تأمل اسرائيل بأن يوقع لاحقا. وسيقف هذا الائتلاف خلف اقامة جسم جديد يسمى "السلطة الفلسطينية الجديدة". لكن اسرائيل ستبقي لنفسها الحق في العمل الامني في غزة، في الصيغة التي تعمل بها في الضفة، في كل مرة تكون هناك احتياجات عملية لـ "احباط الارهاب" او لتفكيك شبكات ارهابية.

في وقت يراهن فيه بعض مسؤولي السلطة الفلسطينية في غزة على ان تفضي نتيجة



والمتمادية ضد حزب الله في لبنان وضد ايران في سوريا هي التي اضعفت ايران في كل المنطقة، واخرجتها من سوريا لتدخل تركيا بدلا منها وتصبح اللاعب الاقوى في سوريا الجديدة.

مع انتهاء حقبة "سوريا الاسد"، تدخل سوريا مرحلة جديدة في تاريخها، وسط حالة من عدم اليقين ازاء ما ستؤول اليه اوضاعها، وما سيكون عليه مستقبلها ونظامها السياسي. صحيح ان زعيمها الجديد رئيس "هيئة تحرير الشام" يصور نفسه منتجا جديدا، ونجح في تقديم صورة جديدة مقبولة مع خطاب مدرّوس. لكن يبقى ان معظم سوريا ستكون موجودة من الان فصاعدا تحت سيطرة منظمات انبثقت من "القاعدة" و"داعش". لا يمكن التنبؤ بهوية سوريا السياسية ومسارها، ولا يمكن الحسم اذا ما كانت ستدخل مرحلة استقرار وازدهار ام تغرق في فوضى داخلية، ام انها ستنزلق الى حكم اسلامي؟ هل تبقى سوريا دولة موحدة داخل حدودها الدولية، ام تذهب الى التقسيم وتتحول الى دويلات ذات امتدادات وارتباطات اقليمية؟ ما هو واضح وسط حال الفوضى والغموض امران:

مشروع نتياهو: تدمير غزة وتصفية القضية الفلسطينية في الضفة

على حين غفلة وسقط نظامها الذي يرقى الى عقود وكان سقوطه عظيما. وحصل ذلك لأسباب عدة تفسر هذا الانهيار الدراماتيكي، اولها السبب الداخلي الذي يتعلق ببشار الاسد شخصا الذي بالغ في الاعتماد على داعميه الخارجيين ولم يفعل شيئا لفتح افاق سياسية وتحسين الاوضاع الاقتصادية واحتواء النعمة الشعبية، ويتعلق بوضعية الجيش السوري وتأكل قدراته وجهوزه، في وقت كانت المعارضة تنظم صفوفها وتعد عدتها في انتظار اللحظة المناسبة للانقضاض. لكن السبب الخارجي هو الالهام والمتعلق بالتراجع الحاصل في وضع كل من روسيا وايران. واذا كانت حرب اوكرانيا اضعفت روسيا وشنتت تركيزها، فان الحرب الاسرائيلية العنيفة

الحرب الى نهاية حماس للعودة الى حكم القطاع، فان رهان نتياهو ان يخرج من غزة منتصرا ليدخل الضفة مفككا حق وامل الفلسطينيين في دولتهم بنزع كل مصدر محتمل لها، عسكري وسياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي. مع العلم ان الضفة في صلب الادعاءات التوراتية، تحت مسمى "يهودا والسامرة".

يرى نتياهو ان غزة تمثل في الاصل خطرا سياسيا، فيما الضفة هي خطر استراتيجي. ويربط ذلك بعناصر امنية تتصل بالجغرافيا والديموغرافيا، ويرى ان دولة اسرائيلية وفق حدود 1967 هي غير قابلة للدفاع ومصيرها الزوال، وبالتحديد في حالتها الضفة والجولان. ان مصر الضفة يتقرر في غزة الان، وهذا ما على قوى الضفة ان تتيقنه وتدخله في عملية صناعة قراراتها. خيار حكومة نتياهو هو تدمير غزة ثم تصفية المشروع الفلسطيني في الضفة.

الملف الفلسطيني يظل مفتوحا وجرحا نازقا. اما المفاجأة، فجاءت من سوريا مع السقوط المدوي والمذهل لنظام بشار الاسد. "سوريا الاسد" التي صمدت في عاصفة الربيع العربي ونأت بنفسها عن حرب غزة ولبنان، اخذت

واشنطن لا تريد الاخلال بتوازنات المنطقة، ولا تريد لأي طرف اقليمي ان يتقدم على حساب ايران، الا اسرائيل. في وجهة النظر الاميركية الفعلية والعقيقة ان اي اهتزاز للنظام الايراني ستكون تركيا اكثر المستفيدين منه، وهو ما لا تريده اميركا. لذلك تتمتع عن القيام بأي مسعى لاسقاط النظام، لكن تبدو حريصة على تغيير سلوكه.

تتسارع الاحداث في الشرق الاوسط منذ انتخاب دونالد ترامب رئيسا للولايات المتحدة، الذي عاد الى البيت الابيض وكانت عودته مظفرة وكان انتصاره الساحق حدث العام 2024، وبدأت بعض الدول تتموضع في محاولة لتثبيت وقائع على الارض، في انتظار "رجل الصفقات" الذي توعد بادخال تغييرات كبيرة في السياسة الاميركية، داخليا وخارجيا، والذي يعمل في الشرق الاوسط على ثلاثة اتجاهات: اضعاف نفوذ ايران، ودعم اسرائيل، وتشجيع المسار والتطبيع "الابراهيمي".

يتفاعل المجتمع الدولي بشكل استباقي مع الادارة الاميركية المقبلة، معتمدا استراتيجيات تراوح بين التواصل الدبلوماسي والتعدلات الاقتصادية والمناورات الميدانية، بهدف تلطف التحولات المتوقعة في السياسة الخارجية الاميركية في ظل رئاسة ترامب الثانية. يفضل الرئيس ترامب العمل على عنصر المفاجأة كتكتيك تفاوضي من اجل ارباك الخصم. لكن توجهاته وارهه اصبحت معروفة لخصوم الولايات المتحدة كما لحلفائها القلقين.

تعتبر المرحلة الانتقالية بين انتخاب الرئيس وتسلمه الاطول في عمليات انتقال السلطة في العالم الغربي، وهذا ما يجعلها فرصة لدول العالم لاعادة تموضعها والاستعداد، خصوصا اذا كان الانتقال الى شخص غير تقليدي يريد ان يحدث ثورة في المؤسسات الاميركية، كما توعد ترامب. ويعتبر الشرق الاوسط من اكثر مناطق العالم تأثرا بأي تغيير في السياسة الاميركية، لما لدول هذه المنطقة من ارتباطات تتقاطع مع مصالح الولايات المتحدة، حتى لو كان شعار ترامب "اميركا أولا".



سوريا دخلت مرحلة الحكم الاسلامي في ظل رقابة دولية مشددة

وبين اميركا واسرائيل، وهذا ما لا تريده إيران حتما. والثاني هو ارتضاء التخلي عن الكثير من المكتسبات والنفوذ في المنطقة، بعدما خسرت مراكز قواها العسكرية والامنية من فلسطين فلبنان الى سوريا فالعراق. امام هذه الوقائع فتحت طهران قنوات التواصل مع الاميركيين، لاسيما مع فريق عمل الرئيس المنتخب دونالد ترامب، وسط معلومات عن تسلمها الشروط الاميركية التالية:

- الالتزام الكامل بأن لا تغير ايران عقيدتها النووية ولا تتجه الى صناعة قنبلة.
- القبول بتفكيك دور حلفائها في مختلف دول المنطقة وانهاء التنظيمات العسكرية.
- تحويل دور حلفاء إيران الى المجالات السياسية حصرا.
- وقف سياسة دعائية تركز على محاربة اسرائيل حتى زوالها.
- وقف سياسة العدا للولايات المتحدة الاميركية.

التحول لسببين: دور ايران المزعزع للامن والاستقرار في المنطقة والمهدد للمصالح والسياسات الاميركية والتغيير الايجابي عند السنة مع بروز اتجاهات الاعتدال والانفتاح على حساب التطرف والارهاب.

الضربات الاسرائيلية اضعفت ايران واكدت على مركزية البرنامج النووي الايراني في الحسابات الجيوسياسية الاوسع في الشرق الاوسط. حتى من دون غزوة، كان لا بد لإسرائيل من ان تقتلع الحزب اذا ما كان في حساباتها انها ستضطر في لحظة ما الى ضرب البرنامج النووي الايراني، الذي صار منع اتمامه عنوانا علنيا في السياستين الاسرائيلية والاميركية. بيد ان تصاعد التوترات قرب طهران من ضرورة تحقيق قدرات نووية عسكرية، وهو ما وضعها في حالة تصعيد مباشرة مع كل من اسرائيل والولايات المتحدة. والان بات على إيران ان تقرر ما اذا كان السعي النووي هو اداة تضليل استراتيجي ووسيلة لتحقيق اهداف سياسية اخرى، ام بات في ذاته غاية، مع ما يلزم ذلك من احتمال توريطها في صراع مدمر.

الاستئلة التي تواجه طهران ليست استراتيجية وحسب، بل تحديات وجودية، فهي تقف حاليا امام خيارين: هو مواصلة الحروب بالوكالة التي يمكنها ان تتحول الى مواجهة مباشرة بينها

غطائها يحصل التقدم والتوغل الايراني في المنطقة العربية.

- خسرت ايران حزب الله، رأس حربتها في المنطقة ودرة التاج الايراني في الشرق الاوسط. حزب الله هو من وضع إيران على خط التماس والصراع مع اسرائيل واعطاها اطلالة على اوروبا بحكم الجوار والتماس بين لبنان واول دولة اوروبية قريبة منه قبرص.

- خسرت إيران سوريا كدولة فاعلة ومؤثرة في محور المقاومة ونقطة الارتكاز الرئيسية. ومع سقوط نظام الاسد انقطع خط التواصل الجغرافي والعسكري بين إيران ولبنان.

اما الحوثيون في اليمن، الطرف الاخر في المعادلة الايرانية الاقليمية، فان تأثيرهم ضعيف في الشرق الاوسط بحكم ابتعادهم جغرافيا عن اسرائيل، وانحصار دورهم في زعزعة امن البحر الاحمر والتشويش على التجارة الدولية. هذا الدور بدأ يتلاشى وسينتهي مع نهاية الحرب. النتيجة لكل هذه المتغيرات ان ايران انكفأت الى خط الدفاع الاخير وهو العراق، بعد انهيار الخطوط والدفاعات الامامية في سوريا ولبنان، وان معركتها ستكون من الان فصاعدا معركة الدفاع عن امنها ونظامها.

"التطور السلبي" في وضع ايران كان نتيجة اولية للتحوّل الجذري الذي طرأ على سياسة اميركا الشرق اوسطية، وكان الاضخم والأبلغ منذ عشرين عاما. هذه الاستراتيجية الاميركية مرت خلال هذه الاعوام بمرحلتين:

- المرحلة الاولى بدأت مع غزو العراق عام 2003 بعد هجمات 11 سبتمبر، وفيها اعتمدت اميركا الخيار الشيعي في المنطقة في مواجهة خطر التطرف السني (القاعدة). واستفادت إيران خصوصا في فترة اوباما من تقدّمات اميركا وهداياتها في العراق والمنطقة كي تتوسع في كل الاتجاهات وتصل الى حدها الاقصى، وتتحوّل قوة اقليمية كبرى بامتدادات دولية في اتجاه روسيا والصين.

- المرحلة الثانية بدأت عمليا وبشكل واضح بعد 7 اكتوبر 2023 وحدث فيها تحول اميري من الخيار الشيعي وايران اولاً، الى الخيار السني والسعودية اولاً. وحدث هذا



في مستقبلها، وبات عليها، وبعد سقوط ثلاثية استانة (تركيا - ايران - روسيا)، ان تتعاون مع الولايات المتحدة المتمركزة في شرق سوريا وفي يدها الورقة الكردية، ومع اسرائيل التي قبضت على جنوب سوريا ودقت ابواب دمشق.

اسرائيل لم تتأخر ولم تتردد في استغلال الانقلاب السوري، فبادرت الى استعراض قوتها وعضلاتها، وتوسعت على الارض وعمقت المنطقة العازلة، ودمرت الترسانة العسكرية للجيش السوري، ودخلت بشكل مباشر وكأمر واقع على المعادلة السورية، وتصرفت على اساس ان سقوط نظام الاسد يشكل مصلحة استراتيجية لها ويرسخ قيام بيئة اقليمية امنية وسياسية مناسبة ومساعدة لها. وقد حققت انجازا في تفويض مشروع إيران في المنطقة، وكان نظام الاسد الحلقة المركزية فيه.

إيران الخارجة من سوريا قسرا كانت الخاسر الاكبر في العام 2024. تلقت ضربة موجعة وخسارة كبيرة واستراتيجية ستجبرها على مراجعة حساباتها واعادة ترتيب اولوياتها:

- خسرت الورقة الفلسطينية التي خرجت من يدها مع خروج حماس من غزة، بعدما كانت القضية الفلسطينية جواز مرور (Passport) لايران الى العالم العربي وتحت

الامر الاول ان السلطة الجديدة بقيادة "هيئة تحرير الشام" ستكون موضوعة تحت رقابة اقليمية ودولية مشددة، وخاضعة لاختبار دقيق وتحديد اجهة تقيدتها بالضوابط والقيود الموضوعة لها بموجب تفاهات تركية - روسية - اميركية، واهم هذه الضوابط والخطوط ما يتعلق بحماية الاقليات الدينية والعرقية والاعتراف بالواقع السوري التعددي والتعاطي على هذا الاساس، والالتزام بالاسلام المعتدل وفق النموذج التركي، وعدم التدخل في شؤون دول الجوار السوري.

- الامر الثاني ان تغييرا جذريا حصل في خارطة القوى الخارجية المؤثرة والفاعلة على الارض السورية. وبعد سنوات من احتكار روسيا وايران للعبة وامساحتهما بزمام الامور على الارض وفي السياسة، يدخل لاعبان اقليميان على الساحة السورية بعد اخراج ايران من المعادلة السورية، وتحجيم دور روسيا فيها. اما اللاعبان الجديان فهما تركيا واسرائيل. تركيا التي اقتحمت المشهد السوري من الباب العريض وعبر "هيئة تحرير الشام" والسلطة الحاكمة الجديدة، بعدما انتهزت فرصة شلل وضعف كل من إيران وروسيا لتتقضى على الوضع السوري وتصبح اللاعب الاقوى على ارضها، ومن الدول المؤثرة عسكريا وسياسيا